جنون ابن سلمان: حصر إرث المملكة ومحاصرة لبنان

أي خيارات للرد على الانقلاب السعودي؟

هيام القصيفي

على وقع الاستشارات التي يجريها رئيس الجمهورية العماد ميشال عون، بعد استقالة الرئيس سعد الحريري، طغت على النقاشات السياسية محاولة فهم وتلمس وقائع الأيام الاخيرة التي أدّت الى استقالة الحريري تزامناً مع حملة التطهير السعودية الداخلية. لكن المفارقة أن النقاشات تعدّت السؤال الذي شغل بال الجميع، حول ظروف الاستقالة، لأن ما حصل قد حصل، ومعرفة الظروف لا تغيّر في الواقع شيئاً. المشكلة الاساسية تكمن في الخطوة التالية، لبنانياً وسعودياً وإيرانياً.

وتسلسل الحدث يفترض البدء بما يمكن أن يحصل سعودياً؛ فالخطوة السعودية ليست وليدة ساعتها. وبحسب معلومات مطلعين، فإن الحريري حين عاد في الزيارة الثانية الى الرياض كان عالماً بما يجري، لأن البحث في وضع لبنان الداخلي لم يبدأ في الساعات الاخيرة التي سبقت الاستقالة. النقاش السعودي حول مستقبل لبنان وتغيير المعادلة فيه بدأ مع زيارة رئيس حزب القوات اللبنانية الدكتور سمير جعجع وغيره من الشخصيات اللبنانية. لكن أحداً لا يريد أن يكون رأس حربة في مشروع لا يتنكّبه الحريري بنفسه. روزنامة المواعيد السعودية تحكي عن نفسها: جعجع، بعده الحريري ثم دعوة البطريرك الماروني الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي، فالحريري مجدداً. ومع جعجع الذي توجه الى أستراليا، علت نغمة الانتقادات للحكومة، وصولاً الى التلويح بالاستقالة. كان الحديث عن موعد الاستقالة يتأرجح، قبل رأس السنة أو بعده، وسط تأكيدات أن العمل سيجري مع أكثر من طرف لتطيير الحكومة حكماً قبل الانتخابات. ومع الحريري أخذ النقاش أبعاداً أخرى. لذا دفعت استقالة الحريري الى البحث عن أسباب توقيتها وليس عن أسباب حصولها.

الاستقالة بوجهها السعودي تحمل ثلاثة تقاطعات، إقليمية وداخلية وسعودية. فالتوقيت ليس عبثياً، هو يأتي في وقت تنحسر فيه جغرافية تنظيم «داعش» في سوريا والعراق، إذ ثمة خشية سعودية من أن تبادر إيران الى ملء الفراغ وتنفلش في المنطقة، وأن تحكم السيطرة عليها بما يضاعف من تعزيز نفوذها.

لذا بدت الحاجة السعودية الى خطوة كبيرة، تتزامن مع انتهاء مهمة التحالف الدولي لمحاربة «داعش»، وخطة الرئيس الاميركي دونالد ترامب لمواجهة إيران عبر مراجعة الاتفاق النووي أو فرض عقوبات اقتصادية على حزب الله. من هنا أصبحت الفرصة سانحة للقيام بخطوة مشتركة: استقالة الحريري، و«كسر الاحتكار» الإيراني في لبنان، وتجميع الاوراق اللبنانية الداخلية، وتسليط الضوء على «الحركة الاصلاحية» الكبرى في السعودية بتغطية إعلامية كبيرة ودعم دولي وأميركي في المقدمة، من خلال تظهير دور إقليمي متجدّد للسعودية في المنطقة. تراهن السعودية كثيراً على نجاح خطوتيها المتزامنتين، لبنانياً وداخلياً، لأنها لا يمكن أن تسمح بفشل واحدة منهما، ولن تسمح قطعاً بألا تؤدي استقالة الحريري الى ما هو مطلوب منها، لأن هذا الفشل سيرتد على صلابة حملتها الداخلية التي أربكت الداخل السعودي وجعلته ينتظر تبعاتها. لكن الرياض ليست في وارد كشف أوراقها العملية. فما أرادت قوله لا يحتمل تأويلات أو تحليلات، لأنها قالته صراحة عبر استقالة الحريري، وعبر مواقف مسؤوليها العلنية من دون مواربة. وهذا يعني أنها لن تتراجع إقليمياً عن مواجهتها إيران، وخصوصاً بعد الصاروخ الذي استهدف مطار الملك خالد في الرياض، ولن تتراجع

> لن تسمح الرياض بألا تؤدي استقالة الحريري الى ما هو مطلوب منها

لبنانياً، لأن ذلك يفقدها أوراقها اللبنانية والسعودية الداخلية ويظهرها أمام الدول التي تراقب عن كثب حركتها المستجدة أنها غير قادرة على المواجهة.

الخطوة التالية تبقى إذاً في الملعب اللبناني.

لا شك في أن كلام الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أفسح في المجال أمام امتصاص الاستقالة داخلياً ومنح المزيد من الوقت لدرس الخطوة التالية. وجاءت استشارات رئيس الجمهورية لتصبّ في الإطار نفسه، علماً بأن الطرفين مدعومان من الرئيس نبيه بري والنائب وليد جنبلاط اللذين يدعوان الى التريّث أكثر. فما هي الخطوات الممكنة لبنانياً؟

من مصلحة العهد وحزب الله وحلفائهما إعطاء المزيد من الوقت، وليس الاستعجال في بتّ مصير الاستقالة. وضع الحكومة الحالية، وهو وضع «جديد» في لوائح الإشكالات اللبنانية الكثيرة مع الحكومات، ليس وضع حكومة تصريف أعمال بالمعنى الضيق والمعتاد، لأن لا قرار بعد باستشارات أو تكليف رئيس جديد للحكومة. حالياً، يمكن لهذه المراوحة الحكومية أن تغطي العجز السياسي عن اتخاذ قرارات نهائية حول مستقبل التسوية الداخلية ومن سيخرج منها، ومصير الاشتباك السعودي ــ الايراني. حتى إن البعض من السياسيين يرون أن هذا الوضع يريح حزب الله أكثر، ما دام قرار الحرب الشاملة لم يعلن بعد، لأنه حينها لن يكون مجال لتأويلات أو لحكومات وطنية ولا غير ذلك من السنياريوات.

حتى الآن لا تزال مختلف القوى السياسية تعتقد أن من المبكر الكلام عن نوعيات الحكومات الجديدة، قبل توضيح صورة حكومة الحريري ومستقبلها، علماً بأن الكلام عن حكومة تكنوقراط يبدو عبثياً، أقله بالنسبة الى حزب الله، وهو الذي يحتاج إلى أن يكون داخل الحكومة في هذه المرحلة الدقيقة والخطرة، أكثر من أي وقت مضى، فيما يواجه حملة أميركية وسعودية عليه، وبصرف النظر عن الاعتبارات الإقليمية التي يمكن أن تحصل على الجبهة السعودية ـ الإيرانية.

وفي حين تبدو حكومة من لون واحد لقوى 8 آذار غير جذابة للعهد لا بل مرفوضة، فإن المشكلة تكمن في كيفية مقاربة المستقبل مجدداً والقوات اللبنانية والكتائب وحلفاء السعودية لحكومة جديدة تحت سقف التسوية المنتهية، ولمصلحة أي رئيس جديد للحكومة.

لكن هل يمكن للعهد أن يقبل بمثل هذه المراوحة التي تأكل من رصيده إذا استمر العجز الداخلي على حاله. لا خيارات كثيرة أمام رئيس الجمهورية سوى احتواء الموقف الداخلي كما حصل حتى الآن، وهو بدا بحسب مقرّبين منه حاسماً في تغليب الاستقرار على أي اعتبارات أخرى. لكن الوقت الذي يبدو اليوم لمصلحة العهد وحزب الله قد لا يبقى كذلك إذا استمر الضغط وتصاعد الموقف السعودي والاميركي تدريجاً، في اتجاه خطوات اقتصادية أكثر حدة لزعزعة الوضع الداخلي. إذ حينها يصبح الكلام عن خطوات عاجلة ضرورية، إن لم يكن لاستمرار عمل المؤسسات، فللرد على الانقلاب السعودي.

المستقبليون حائرون... و«رجال السبهان» في الواجهة

لم يخرج تيار المستقبل من الحفرة التي وضعته فيها استقالة الرئيس سعد الحريري بعد. الأمور «مقلوبة» رأساً على عقب. وفيما يلتزم أغلب من في التيار سقف الخطاب «المتقن» محاذراً التصعيد، دخلت جوقة صغيرة حلبة المواجهة من الباب العريض، تتحدث اللغة «السبهانية» على الشاشات

ميسم رزق

ثمّة محنة حقيقية تعصف بتيار «المُستقبل» الذي لا يعرف الوجهة التي سيسلُكها. وضعفهُ يكمُن في انعدام طاقة غالبيته على الكلام، خصوصاً أولئك الذين تُبنى المؤشرات على مواقفهم، أي دائرة المقرّبين من الرئيس سعد الحريري، وصقور تسويته مع العماد ميشال عون. كذلك لا يوجد بين وزرائه، أو نوابه من الصفين الأول والثاني، وحتى الثالث، من هو قادر على رفع سقوفه ولغته. فزعيمهم قرّر مغادرة الحكومة من دون التنسيق معهم. حتى الرئيس فؤاد السنيورة نفسه الذي اعتقد البعض بأنه سيستغلّ اللحظة لتسعير معركته السياسية مع حزب الله، حاذر فعلَ ذلك، ولم يتّح له الابتعاد خطوة واحدة عن الخطاب «المُتقَن» الذي يلتزمه الجميع، فأكّد من على باب بعبدا أكثر من مرّة أمس أن «عودة الحريري هي الأولوية». غير أن في التيار من «انشقّ» عن هؤلاء، في أكثر لحظات تخبّط «المستقبل» تحت ضغط الخارج، واختار أن يركب الموجة السعودية. نجح الوزير السعودي ثامر السبهان في استغلال المراهقة السياسية لبعض المستقبليين، ودفعهم إلى تبنّي خطابه وترويجه. وأوعز إليهم بالمشاركة المكثفة في حلقات الحوار والمداخلات على القنوات التلفزيونية، والتأكيد أن الحريري «استقال بملء إرادته، وأنه مهدّد أمنياً».

> تعليقات «السبهانيين» تردد مساء ما يقوله الوزير السعودي صباحاً

والمفارقة أنه في وقت ترفض فيه غالبية شخصيات المُستقبل الظهور والتعليق والتحليل، متهرّبة من أي مداخلة في الإعلام، منعاً للإحراج أو لأنها لا تملك أي معطيات، وفق ما أكد لـ«الأخبار» عاملون في أكثر من فريق عمل برنامج تلفزيوني، أخذت حلقة صغيرة في التيار على عاتقها مهمّة التحريض. على مدى أيام، أطلّ مدير الأخبار في تلفزيون المستقبل نديم قطيش من شاشة إلى شاشة، لتحويل الأنظار عن المشكلة الأساسية، وهي استدراج رئيس حكومة لبناني وإجباره على الاستقالة. يتحدّث قطيش وكأن لبنان هو المُعتدي. يحاول صاحب «غزوة السراي» تصوير المملكة وكأنها «منتجع للسياحة» يقضي فيه الحريري فترة استراحة، ويتصرف باستخفاف مع التحديات التي يواجهها لبنان نتيجة التلاعب بأمنه واستقراره. المهم أن يكون عند حسن ظنّ الوزير السعودي. وانضم النائب عقاب صقر إلى هذه الجوقة، وهو الذي «ضيّع» جمهور تيار المُستقبل أكثر ممّا طمأنه. فساعة يؤكّد أن الحريري سيعود قريباً، وساعة ينفي علمه بتوقيت العودة، من دون أن يتوقّف عن التخويف بأن البلاد على فوهة بركان. والمصادفة أن أغلب تعليقات قطيش وصقر تردِّد مساءً ما يقوله السبهان صباحاً، وإن اختلف الأسلوب. ويشارك في هذه «الجوقة» كلّ من الوزيرين معين المرعبي وجمال الجراح والنائب أحمد فتفت والنائب السابق مصطفى علوش